



بطيركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس كورس اللاهوت الرعوي

اليوم الثاني - المحاضرة الثالثة
كيف نجذب البعيدين - الأنبا مكاريوس

❖ **مقدمة:**

"وَنَطْبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ شَجَعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ. أَسْنِدُوا الضُّعْفَاءَ. تَأْتُوا عَلَى الْجَمِيعِ." (١٤ : ٥)

حدثت واقعة مشهورة في القرن الأول الميلادي وهي: أن أحد العاملين ويدعى أنسيموس عند تاجر كبير يدعى فليمون حيث سرق مبلغ كبير من سيده وهرب فتخبط كثيراً في أروقة الشر حتى عرفه القديس لوقا على القديس بولس الرسول وآمن وأعتد على يده وأصبح أنسيموس تلميذاً لبولس الرسول وأعادته إلى سيده فليمون الذي قابله بفرح، وهذا الشاب أنسيموس هو نموذج للشباب الذي يحتاج لخدمة خاصة وقد تعامل معه القديس بولس الرسول بمهارة شديدة، حيث إنها من أجمل الرسائل التي كتبها بولس الرسول هي رسالته لفليمون.

المخدوم الموجود بيننا في الكنيسة قد أتى بنفسه أو بقليل من الإقناع، لذلك تكون خدمته سهلة يمكن لأي خادم بسيط أن يتعامل معه، أي أنه لا يحتاج لمهارة خاصة للتعامل معه، حتى اننا في بعض الاحيان نتعامل على هؤلاء المخدومين الموجودين داخل الكنيسة في حين كان يجب علينا أن نفرح بهم ولكننا أحيانا نثقل عليهم ونعائبهم، فيجب تكريس الوقت والجهد للمخدومين الذين لا يأتون إلى الكنيسة، سواء في القداسات أو الاجتماعات، فيكون الخارج أضعاف الموجودين، فالراعي قد ترك الـ ٩٩ وذهب لبحث عن الخروف الواحد الضال، فأحياناً يكون نسبة البعيدين إلى نسبة الموجودين ٩٩ : ١، بعض الناس لهم ظروف خاصة وهؤلاء يحتاجون إلى صلاة وجهد مضاعف، أحد القديسين التائبين قال إلى الله وهو يقدم توبة: [لأنك إن كنت ترحم القديسين فقط فليس هذا بعجيب، وإن كنت تخلص الأظهار فما الحاجة لأن أولئك مستحقون، لكن فيا أنا غير المستحق يا سيدي أري عجب رحمتك لأني إليك أسلمت نفسي.]

فنحن نحتاج لكوادر مدربة لخدمة الأنماط المختلفة البعيدة من: (مشغولين- رواد مقاهي- منحرفين عاطفياً- مدمنين- مستهدفين من آخرين- الأمر لا يعينهم- واقفون أمام الكنائس- متشككين- ملحدين- عقلايين- مستقطبين من جماعات أخرى).

❖ نماذج من هؤلاء البعيدين:

١. **شخص مُعثر:** "مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لَا أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لَا أَلْتَهَبُ؟" (٢كو ١١ : ٢٩)
ربما هذا المُعثر قد أُعثر في شخص ما والشخص الذي أعثره لم يدرك ذلك، ولذلك يجب علينا مراعاة سلوكنا لنلا يعثر أحد بسببنا، ومن المحتمل أن يهلك ذلك الشخص، وكثير من الذين تركوا الكنيسة كان بسبب ذلك، فكما قال الرب يسوع: "وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثْرَاتِ! فَلَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثْرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الْإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!" (مت ١٨ : ٧)
حيث ينتقد الشخص بسبب شعره أو مظهره أو سلوك معين أو رأى شيء لم يتوقعه فعثر فيه وأخذ موقف من الكنيسة بسبب شخص ما أياً كانت رتبته في الكنيسة.

٢. **شخص مشغول:** كما قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: "لَأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ" (٢ تي ١٠ : ٤). ليس مُعثر ولكن عنده اهتمامات أخرى غير روحية مثل اللعب، اللهو، الميديا، المقهى، أصدقاء غير روحيين، وهذا يحتاج إلى من يذوقه حلاوة المسيح فيجد فيها الغنى عن كل حلاوة العالم بأشكالها، فيحتاج افتقاد، دعوة لاجتماع، خلوة، مصيف، وأحياناً الرسائل القصيرة والبوستات.

٣. **شخص أتى ولم يشبع:** إما أتى من تلقاء نفسه أو استجاب لدعوة، هو ليس مُعثر ولكنه لم يشعر بالشبع، ألحوا عليه فأتى ولكنه لم يجد ما يُشبعه فعاد مرة أخرى وهذا النوع يحتاج لجهود مُضاعف، فنحن نجذب الناس ونحتويهم ولكن إذا فشلنا في إشباعهم وهم بين أيدينا سيكون من الصعب الاحتفاظ بهم ومن الصعب أيضاً رجوعهم للكنيسة مرة أخرى بسبب وجود خبره سلبية لديه من هذا المكان، يجب أن يصل المخدوم من خلال الخادم إلى هذه الخبرة وهي "قد وجدنا يسوع".

❖ عوامل يخضع لها المخدوم:

عوامل دفع: تدفعه للكنيسة مثل الأسرة، الأصدقاء، الضمير، الافتقاد، الاعلانات لأنشطة معينة، الفراغ، من عتبة الكنيسة تبدأ عوامل الجذب، فيستلم الخادم حينها المخدوم لكي يبدأ معه بعوامل الجذب فيذوق حلاوة المسيح من خلال قدوة الخدام، الاهتمام بحضوره، شبعه، فيتعلق قلبه بالمسيح بغض النظر عن الدوافع التي أتت به إلى الكنيسة، حلاوة الطريق تجتذبه وتنقطع علاقته بالماضي، يكفي أنه أتى إلى باب الكنيسة، فأى شخص يأتي للكنيسة أياً كانت دوافعه مُرحب به تماماً ومكسب كبير ونبدأ في خدمته.

٤. **شخص لم يقتنع بالذهاب للكنيسة:** سواء قداسات أو اجتماعات ومن الممكن أن يكون هذا الشخص يعاني مما يسمى بالإلحاد العملي أي أنه لا يفكر في تبعية المسيح وبالتالي ليس له صراع في تبعية المسيح أو خلاص نفسه أو الأبدية وهذا يختلف عن الشخص الذي حضر ولم يشبع (سعى رغبة منه في الشبع ولم يجده) ولكن هذا لم يسع من الأساس ولم يشعر إنه في احتياج إلى الله، ربما بسبب اتجاهات الأسرة أو بيئته، أو أن له اهتمامات أخرى بعيدة عن الله.

٥. **القريب البعيد:** الذين يتبعون الرب يسوع هم ٦ أنواع، نوع تبعه من البداية وحتى النهاية، ونوع رفضه من البداية وحتى النهاية، شخص قبله في البداية ورفضه في النهاية، وشخص رفضه في البداية وقبله في النهاية، وشخص قبله شكلياً وقلبه مُبتعد عنه، وشخص لا يظهر عليه من الخارج

ولكنه يتبع المسيح بقلبه (جوهرياً)، فالمقصود بالقرب البعيد أنه يمكن أن يكون حاضراً بالجسد فقط، أو يأتي لأغراض غير روحية، أو يقضي وقته في الكنيسة بسبب الفراغ أو بسبب صداقات، أو يحقق ذاته من خلال الوجود في الكنيسة، موجود ولكن ليس مهتمين به ولا يُلاحظ ولا نعلم بماذا يفكر أو لماذا جاء إلى الكنيسة، فنكون مطمئنين لوجوده دون فحص أو ماذا يحقق من وجوده داخل الكنيسة.

٦. **المخاضون الله:** أشخاص دخلوا في خصومة مبكراً مع الله فهم يحتاجون لمن يصلحهم كما صالحنا المسيح مع الله أي يحتاجون لخدمة المصالحة ربما هذا الشخص تعرض لتجربة قاسية مثل: موت أحد الاحباء - ظلم - خسارة حلت عليه - طالبة لم تتحقق، وأحياناً يكونون أشخاص ناقمين على الحياة ولديهم نظرة سوداوية عن الحياة، ولديه فكرة سلبية عن الله أي أن الرب قاسي أو ليس عادل (حاشا) ويجلس في السماء ومعزول عنا، وبعض الافكار السوداوية.

٧. **الطبقات المنبوذة من المجتمع:** مثل خريجي السجون، خريجي المصحات (ادمان- أمراض نفسية)، الخارجون من مؤسسات التحقوا بها لسبب أو آخر وهم صغار، ذوي الاحتياجات الخاصة، المشردين في الشوارع، الأشخاص الذين بلا مأوى، المستهدفين من ذئاب بأنواعها، فخرجوا ولم يجدون من يأويهم أو يوفر لهم العمل، فمن كانوا في المؤسسات أو في المصحات هؤلاء ليس لديهم دخل فيما لحق بهم، هؤلاء يحتاجون لخدمة خاصة، من يعتبرون زوان في وسط الحنطة فقد أوصانا الله أن لا نطلع الزوان لكي لا نُؤذي الحنطة، وإذا لزم الامر بعزل شخص فهذا يقابله اهتمام به على المستوى الفردي.

٨. **اشخاص يخجلون من خطاياهم:** فيشعرون أنهم لا يستحقون الدخول إلى الكنيسة وهذه حيلة شيطانية، فالإنسان لن يحصل على النقاوة والقداسة إلا في الكنيسة، فهناك شاب لا يريد أن يتناول بسبب أنه يُدخن ورغم سماح الأب الكاهن له بأن يتناول من الأسرار المقدسة إلا أنه رفض ذلك، وفتاة أخرى أرادت أن تترك المسيح وتعمل في عمل غير شريف وعرض عليها أحد الآباء أن تستمر في ديانتها وتفعل ما تشاء ولكنها رفضت وقالت أن اسم المسيح غالي ولا يصح أن أفعل ذلك ولكن بكثير من النقاش اقتنعت أن لا تترك المسيح ولا تعثر الناس وتسيء للمسيح، فمثل هذا الشاب أو تلك الفتاة يحتاجون لدفعة صغيرة ليدخلوا للحضن الابوي، فمن هؤلاء الأشخاص من لفظتهم الكنيسة فشباب طرد لسبب ما أو يأس من كلام أحد من الكنيسة معه، أو شعر في الكنيسة أنه غير مرغوب فيه أو لا فائدة منه، [فالقديس بالاديوس في حديثه عن الانبا أنطونيوس حكى أن هناك شخص طرد من مكان إقامته فذهب للأنبا أنطونيوس فتوسط له الاب أنطونيوس وعاد إلى ديره مرة أخرى فلم يقبلوه مرة أخرى، فكتب لهم الانبا أنطونيوس وقال: أحد ما ركب سفينة وفيما هو مبحر قد تحطمت السفينة وبالكاد نجا الركاب فالذي نجا أتريدون أنتم أن تغرقوه أيضاً، فكان يقصد أن أحداً كاد أن يغرق بسبب اليأس ونحن نحاول أن نبث لديه الرجاء فلا نياسه أكثر، مثلما يكون شخص في الوحل بدون قصد.]

٩. **الشباب الموجودين في فناء الكنيسة:** فهم موجودين في حوش الكنيسة إذا إنتهره أحد خدام الكنيسة بشده وقال له إما أن تدخل للكنيسة أو تخرج خارجها، وما كان منه إلا أن يختار الخروج خارج الكنيسة، وإذا خرج ليس للخادم سلطان عليه ومن الممكن أن يسبب مشاكل مع الآخرين،

ففي الداخل لديه بعض الحياء إزاء هذا المكان (الكنيسة) فبه خير ولو قليل أو استعداد للخير وإلا كان قد ذهب لأماكن أخرى ولم يأتي إلى الكنيسة، فيكفي أنه قد أتى ليبدأ دورنا نحن الخدام (عوامل الجذب)، فماذا ستفعل معه أو نحن نقف لنقول (العملية تنجح والمريض يموت)، فالكنيسة مفتوحة للجميع، فهي ليست متحفاً للقدسين بل أنها مستشفى للخطاه.

❖ كيف نخدم المخدمين:

◀ **يقول بولس الرسول:** "الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (١كو ١: ٢٨). يتحدث هنا عن كيفية الاحتفاظ بهم، ونقول في **طلبة القديس الغوريغوري**. "الساقطين أقمهم القيام ثبتهم" فالاحتفاظ بالمخدمين أصعب من ردهم، فالاجتماعات الناجحة هي الاجتماعات التي يشبع فيها الناس وليست صاحبة الدعاية القوية أي افتقاد كثير، فيقولون لبعضهم البعض تعالي وأخبر بنفسك.

◀ **قدموا لهم المحبة**، عرفوهم على محبة الله لنا وطول أناته علينا والامكان التي أعدها الله لنا في السماء، ومرافقته لنا في مسيرتنا على الأرض، وإمكانية أن يجعل حياتنا مفرحة ونحن موجودين معه، فنقول هذا الكلام لكل سن فيما يتناسب معه، فنقبلهم كما قال الرب يقبل كل من يأتي إليه "كُلُّ مَا يُعْطِينِي الْآبُ فَأَلِيَّ يُقْبَلُ، وَمَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا" (يو ٦: ٣٧). فلا نخرجه من الحوش أو من الكنيسة مثلما يفعل بعض الخدام، ففي المرحلة الابتدائي كانوا ٢٠٠ طفل وفي المرحلة الإعدادي أصبحوا ١٥٠ طفل وفي المرحلة الثانوية أصبحوا ١٠٠ طفل وفي الجامعة أصبحوا ٥٠ وفي الجامعة أصبحوا ٢٥ وبعد الزواج يختفون في تسلسل هرمي يكون الخدام في قمته ولكن في الطريق يسقط المخدمين واحداً تلو الآخر، فما سبب ذلك؟! بلغوا الناس أن لا خلاص خارج الكنيسة، فنحن لا نعرف فمن الممكن أن تتغير حياة المخدم مع الوقت فكثير من الاشخاص المؤثرين والآباء الكهنة كانوا أشقياء وهم صغار، إن لم يكن أغلبنا كنا هكذا، فوصلنا أن مطران كبير وهو صغير في السن كان بعيداً عن الله فتاب وترهبين وصار مؤثراً في كل الكنيسة، فلا تقطعون رجاء أحد ولا رجائكم في أحد، لا يستحيل على الرب شيء.

◀ **فنتحاج أن نقيم جسور من الحب والثقة** فيما بيننا وبينهم (المخدمين) ولا نتعجل في الثمار، احتملوا سخافتهم وحمافتهم سواء كلام أو سلوك، وفي هذا الإطار ليس هناك ما يمنع أن تتطلع ولو بقدر قليل على ثقافتهم ولغتهم واهتماماتهم دون التحقير من شأنها أو الاشتراك فيها.

◀ **التواجد معهم في ظروفهم الخاصة** وهذا مهم جداً مثل (المرض - احتياج معين - فرح - وفاة - مشكلة - عمل) يجب أن يدافع الخادم عن المخدمين قدام الكنيسة والمسؤولين ويتناقش مع الكنيسة بخصوصهم، فيكون المحامي لهم وينوب عنهم.

◀ **ففي خدمتهم نقدم حب** فعندما يشعر المخدم بمحبة الخادم له أو بالأحرى محبة المسيح له من خلال الخادم يتأثر ويستجيب، فليس لأحد أن لا يتأثر بالمحبة والاهتمام والحنو مهما كان فيجدها الطفل في أبويه مثلما يقول المخدم بابا يسوع، ماما العذراء، فهذا الحب يُعد المدخل أو المفتاح الذي يجب أن ندخل منه، اللغة العالمية التي يفهمها الكل، كل الطبقات، كل الانواع، كل مستويات التفكير، كل الأعمار، ولكن نحذر من التمثيل فالمخدم قادر على كشف حقيقة مشاعرك وإذا

شعر أنه مُستهدف أو مجرد رقم سوف يبتعد، فنحبهم لأنهم صورة المسيح الذي أحبنا وأسلم ذاته فداء عنا، نحبهم لأن الحب يشفي ويغفر خطايا النفس.

◀ هناك **حب له أسباب وحب بدون أسباب**، فأعلى وأعظم أنواع الحب هو الحب بالرغم من..... وهو حب الله لنا "لأنه ونحن بعدُ خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨).

◀ **فبعضهم يحتاجون جرعات كبيرة من الرجاء والحب** والكثير من البذل مثلما قال الرب يسوع في بيت الفريسي "لأنها أحببت كثيراً. والذي يُغفر له قليلٌ يحبُّ قليلاً" (لو ٧: ٤٧).

◀ **الاستيعاب والاحتواء والاحتضان** من جهة والاستقطاب والالغاء من جهة اخرى فشعور المخدم مهما كان كبيراً أنه مستهدف من خادم يجعله ينفر منه أما نحن فليس لدينا هدف سوى خلاصه فنحن نكسبه لخلاصه وليس لأجلنا، وبالتالي يجب احترام استقلاله وعنايه وأفكاره وحرية والنقاش بجدية في وجهات نظره ولا نسخر منه ولا نشفق عليه شفقة كاذبة فهو ليس مجرد رقم، ولكنه كيان يحترم، لا أستاء من تعبيراته ولا أستكف من منظره، ولا أنقم عليه، ولا ألقى بتركيزي على الوعظ والتبكي وصب الويلات والإنذار بنار ودود وكبريت وظلمة خارجية، فبهذا ينفر.

◀ **طول الأناة** فهي واحدة من أعظم كمالات الله وصفاته وطول أناته وهي التي أنجبت أعظم كوكبة ستحتفل في الملكوت وهي كوكبة التائبين، فمن الجائز ألا يستجاب المخدم سريعاً ويحتاج الأمر الكثير من الوقت، فعلياً أن لا نتعجل في جني الثمار، فيجب ان نضع البذور المقدسة ونروي بسخاء ومتى يأتي الثمر فهذا شيء في يد الله حده.

"إِذَا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئاً وَلَا السَّاقِي، بَلِ اللَّهُ الَّذِي يُنْمِي" (١كو ٣: ٧). فلا أحد يبأس أو يظن أن عمله بلا فائدة.

◀ من الجائز أن يقتنع المخدم ولا يظهر ذلك أو يختزن ما سمعه وفي الوقت المناسب يتفاعل معه مثل زراعة البذور، ومن الممكن عدم القدرة على التفاعل أو عدم الرغبة في التفاعل ولكن الله طويل الأناة طويل الروح وكثير الرحمة ويظهر ذلك لنا في حديثه المترفق مع المرأة السامرية ومع نيقوديموس وخلال مسيرتنا معه نقارن بين قسوتنا وحنوه علينا.

◀ **أحد الآباء يقول:** [أن الصياد الماهر يرخي الخيط قليلاً قليلاً لكي يضمن صيده والصياد المتسرع يفقد صيده].

◀ **وقال أحد الآباء:** [أما القديسون فإنهم لا يدينون الأخ، لكنهم يتألمون معه كعضو منهم ويشفقون عليه ويعضضونه ويتحايلون في سبيل خلاصه حتى ينتشلونه كالصيادين الذين يرخون الحبل للسمة قليلاً قليلاً حتى لا تخرج من الشبكة وتضيع فإذا توقفت ثورة حركتها حينئذ يجرّون قليلاً قليلاً هكذا يفعل القديسون فإنهم بطول الروح يجتذبون الأخ الساقط حتى يقيموه]. هكذا فعل **القديس مكاريوس** حيث إنه جلس على المجور الذي كان تحته المرأة لكي لا يجدها أولئك الذين نموا على الأخ، فعل ذلك القديس مكاريوس بشفقة وبمحنة لا باستنقاص وتعيير.

❖ الفرق بين الشر والشرير:

- ◀ لا يوجد إنسان شرير بطبعه، فقد وُلد نقي إنما الشر دخل له من البيئته، أو أصدقاء السوء، أو من الميديا فيمكن بالتالي أن يعود إلى حالته الأولى خصوصاً في بادئ الأمر قبل أن يعتق في الشر، لذلك نولي النشء اهتماماً كبيراً جداً فنحب الخاطئ ونحارب الخطيئة، نحب المريض ونقاوم المرض، نحب المجرم ولكن نكره الإجرام، لا يوجد شخص يولد وفي يده سكين أو سيجارة، فحسب معاملتك للناس ستجد منهم معاملة مثلها في المقابل، إذا عاملته على أنه بار ومظلوم وتعاطفت معه سيظهر بره ويخرج الحلو الذي بداخله، فلا تلومه بل استمع له واعلم ممن ظلم، فالأرض التي تحولت لطريق ونزل عليه البذور في متي ١٣ كانت أرض رخوة ومن كثرة الضغط والقسوة عليها أصبحت طريق، لا يوجد إنسان ولا حيوان لا يستجيب للحب والاهتمام.
- ◀ الصلاة تفقد كثيراً في فعلها فما لا يُحل بالمنطق أو بالهدايا أو بالافتقار تحله الصلاة فالله يفرح عندما نصلي بعضنا لبعض، فيقول الآباء "من أجل محبة الذي لم يخطئ غفر الله للذي أخطأ"، فضع اسم المخدم على المذبح، وافعل له حلقة صلاة خاصة به، ونضع أسماءهم في ورقة في آخر الأجبية، فنذكر في ذلك الأمر **القديسة مونيكا والدة القديس أغسطينوس** وغيرها.
- ◀ كلمة البعيدين أصبحت هدف لشريحة كبيرة جداً لكثير من الخدام فهم يدرسون أنماطهم ويضحون بالمال والوقت والجهد ليدافعوا عن هؤلاء المخدمين ويمارسون معهم أقصى درجات الصبر، وسوف يكافئهم الله على تعبهم وطول أناتهم ويفرح قلبهم بثمار هذه الخدمة، فكلنا كنا قبلاً خطاه ومرفوضين ولكن الله رحمننا وقبلنا إليه متغاضياً عن أزمته الجهل، أذكر بكثير من الفخر الخدام الذين كرسوا حياتهم لخدمة هذه الشريحة من المخدمين، وأذكر أحد الرهبان في إيطاليا كرس نفسه لأولاد الشوارع وعلمهم وقومهم وقدمهم أعضاء صالحين في المجتمع، وهو جون (يوحنا) بوسكو الذي أسس مدارس دون بوسكو أو السالزيان، ومن هؤلاء المخدمين من تفوق على خدامه.
- ◀ يقول بولس الرسول: "أذْكُرُوا الْمُقِيدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقِيدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُدَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا فِي الْجَسَدِ" (عب ١٣: ٣)

وإِلَهِنَا الْمَجْدُ الدَّائِمُ مِنَ الْآنَ وَإِلَى الْأَبَدِ آمِينَ

